النشـرة
اللبنـانيـــــة

٢٠٠٢/١١/٤ – العدد ٢٤٧

صار الخصي إمام الآبقين بها
فالحر مستعبدٌ والعبد معبود

أسبوعية تصدر عن أمانة الإعلام في التيار الوطني الحر وتوزّع على الإنترنت: http://www.tayyar.org

## موقف الأسبوع

# الخيانة دون حدود

المتورّطون في العمالة والخيانة، كالمدمنين على المخدرات، ينحدرون يوماً بعد يوم في خيانتهم كلما زاد ضلوعهم في تعاطيها، وتضمحّل شخصيتهم مع الوقت، فيموت في نفوسهم حسّ الكرامة، فلا يعود لديهم ما يخجلون منه مهما كان دنيئاً، ويضيع منهم الحس النقدي، فلا يميّزون بين الصواب والخطأ، ويتحوّلون إلى ذاكرات آلية، يطبع فيها محرّكهم ما يشاء، وساعة يشاء. هذه الدمى الإلكترونية تجتاح يوماً بعد يوم شاشات التلفزيون، وتحتلّ أعمدة الصحف؛ جميع المحرّمات حلال لها، والحلال محرّم على غيرها. تفخر بخيانتها وتسميها صداقة، وبعمالتها وتدعوها تعاوناً، وبعبوديتها وتعتبرها تحالفاً.

مع هؤلاء تعود العادات والتقاليد المتخلّفة في الشكل والجوهر، والتي عفّ عليها الزمن. تعود من الماضي البعيد لتلازمنا في حياتنا الفكرية والاجتماعية، وكأنها لم تغِب يوماً، فمن كان يتصوّر بأننا سنرى بشراً يستحضرون فكراً منقرضاً، منذ مئات السنين، ليتوجّهوا به إلى مجتمع اليوم، ونتساءل إذا ما كنّا نستفيق من سبات عميق دام قروناً من الزمن، أو أننا نعيش في خدعة متواصلة، أو أن موازين التقدّم والتطوّر قد تحطّمت أمام السلفية الحاقدة التي لا تعرف سوى الكراهية والحقد والفكر الواحد، فتحلّل لنفسها ضرب كل من يخالفها سياسةً أو رأياً أو معتقداً.

وهل يمكن التصوّر بأن البلد الذي صهر جميع الحضارات المتوسطية، وأصبحت حضارته خلاصةً لها، لم يعد لديه سوى خيار من اثنين: القبول بالدكتاتورية أو الفوضى.. وهل جفّ الفكر في لبنان، وتقلّصت قدرة مجتمعه، فلم يعد بإمكانه هضم حضارة الحرية والديمقراطية؟

هذا غير صحيح، وبالتالي غير مقبول، فلبنان ليس في حالة عقم، ولا مخيلة اللبنانيين عاجزة عن استنباط الحلول. إن لبنان يعيش حالة خوفٍ تقع مسؤوليتها على المفكّرين التقدّميين والعلمانيين الذين انجرفوا بغالبيتهم، ولأسباب متعددة، إلى مواقع احتلالية، أو إلى مواقع طائفية، والاثنان يتناقضان لجهة الموقف، ويتلازمان بخلق مشكلة جانبية تغطّي مشكلة النظام الديكتاتوري.

وهنا أودّ العودة إلى بعض ما قلته في حديثٍ لجريدة "المحرر" في١٩٩٤/١/٣:

"...على أنني أعتقد أن تحدّي السلام الحقيقي هو في أنه سيُسقط كل الأنظمة الحالية، وسيكون لبنان الذي نريد ونطمح إلى بنائه، النموذج القادم للأنظمة الجديدة، فلقد نما فيه من قبل الفكر الديمقراطي، وتجذّرت الحرية ومعها حق الاختلاف عن الغير، ولو نحن نظرنا إلى ما حولنا لهالنا، أن ما يحيط بلبنان لم يبلغ مرحلة التقدّم التي سبق إليها لبنان بالممارسة، قبل أن يُجهضوا تجربته ويسقطوا حلم الديمقراطية فيه".

"لست أدّعي أن لبنان قد بلغ، في مرحلة ما قبل السقوط، منتهى ما نصبو إليه وما تصبو إليه شعوب المنطقة، كان ينقصنا الكثير أيضاً، غير أننا كنّا نسير على الطريق وفي بداياته، حين ضُربنا. ولكن تلك النويّات من الحرية والحداثة والديمقراطية لم تمت، وما زلنا قادرين على البدء من نقطة التقدّم التي بلغناها، وسنكون الأعرق والأقدر على بناء الديمقراطية التي تحترم حقوق الإنسان وتسيّر أحداث العالم من حولنا في اتجاهها".

"إنهم يتحدّثون كثيراً في الغرب عن الشرق الأوسط، عن الحاجة إلى الديمقراطية فيه، وعن مشكلة الأقليات والأكثرية، ولكنني أرى أن المشكلة هي ذاتها وواحدة، فلو ساد احترام حقوق الإنسان في المنطقة لما تحدّث أحد عن مشكلة أقلية ومشكلة أكثرية. ولقد أذهب أكثر فأقول إن الأكثرية نفسها تفتقد الحقوق والحرية، فكيف بالأقلية والأقليات؟"

العماد ميشال عون